المحاضرة الثالثة : علاقة الانسان بالبيئة و المدارس الفكرية المفسرة لها .

تعد علاقة الانسان بالبيئة علاقة فطرية وازلية باعتبار البيئة هي الايطار الذي يعيش فيه الانسان ومنه يحصل على مقومات حياته ويعتبر الانسان اهم عامل حيوي فيها لانه يحدث التغيير البيئي كما اه قد يكون سبب في خلل التوازن الطبيعي البيولوجي فمنذ وجوده فهو يتعامل مع مكونات البيئة لذا سعى العلماء و الباحثين لتفسير ذهذ العلاقة فذهب بعض مفكرين ان العلاقة بين الانسان و البيئة لها ثلاثة جوانب هي .

1-البيئة : هي الحيز المكاني لحياة الانسان ونشاطه اي المحيط الذي يعيش فيه .

2-البيئة : خزان العناصر التي يحولها لالنسان الى ثروات وهي بذلك مصدر للموارد التي يستغلها لالنسان .

3- البيئة : هي السلسلة التي ياتي فيها الانسان مخرجاته و مخلفاته .

وللتوضيح اكثر سنعرض اهم مدارس فكرية التي تناولت هذه العلاقة لنتقل بعدها الى اهم المراحل تطورها .

المدارس الفكرية المفسرة لعلاقة الانسان بالبيئة :

تضاربة الافكار و الاراء في تفسير العلاقة القائمة بين الانسان و البيئة وعلى اثرها ظهرت عدة مدارس مختلفة الاتجاهات وهي :

Determinismeالمدرسة الحتمية او المدرسة البيئية :

هذه المدرسة تعطي للبيئة اهتماما اكبر في مجال العلاقة بينها وبين الكائنات الحية وتقوم على اساس ان الانسان يتواجد في البيئة التي تؤصر فيه ومن الضروري ان يتكيف معها و يعيش في حدودها و امكانيتها فهو كائن سلبي اتجاه قوة الطبيعة وترى ان البيئة بمكوناتها المدية ذات تاثير حتمي على كل الكائنات الحية ومن انصار هذه المدرية :

-ابن خلدون (1332 -1406) اعتبر من الذين تحدثوا عن البيئة و تاثيرها في الحياة البشر و الوانهم في حضاراتهم و سلوكاتهم وضرب مثلا بسكان السودان و الذي وصفهم بالخفة والطيش وكثرت الطرب وكما قارن بين البيئة الحضرية و البيئة البدوية مع ان ظاهرة الحضرية في الفترة التي عاش فيها لم تكن منتشرة و قوية فمعظم السمان كانوا يعيشون في الارياف و البوادي فتوصل الى ان البدو كانوا اكثر خشونة واكثر اعتمادا على النفس في الدفاع عن ممتلكاتهم وانفسهم وارجع ذلك للبيسة التي عاشوا فيها وقد ذكر ابن خلدون ذلك في اماكن متفرقة من المقدمة .

ومن جانب اخر تحدث ابن خلدون عن حماية المدن من الاخطار الداخلية حيث تنبه لمشكلة التلوث البيئة باعتبارها آفاة الداخلية للمدن في تلك الفترة التي كانت الحياة فيها بسيطة جدا ولم يستخد فيها الانسان الالة ولم يستخدم البترول ومنتجات الكمياوية وفي هذا يقوا : ومما يراعى في ذلك للحماية من الافات السماوية طيب الهواء للسلامة من الامراض فان الهواء ان كان راكدا خبيثا او مجاورا للمياه الفاسدة او مناقع متعفنة او مروج خبيثة اسرع اليها العفن من مجاورتها واسرع المرض للحيوان كائن فيه لا محالة

Possibilisme:-المدرسة الامكانية الاختيارية

هذه المدرسة لا تسلم بحتمية البيئة ولا بسيطرتها المطلقة على افراد المجتمع بل تعطي لظروف البشرية و الاجتماعية اهمية ودور اساسي في مواجهة الظروف البيئية فهي تؤمن بالحرية الانسانية وتعتبر الانسان هو السيد وله حرية الاختيار فهو ليس مجرد مخلوق سلبي غير مفكر او خاضع تماما لمؤثراته

لكن بمحض ارادته يختار منه ما يتلاءم معه وبالتالي فليست هناك حتمية مطلقة قاسية بل هناك امكانية مرنة للانسان وقوة فعالة في تعديل البيئة و تغييرها حسب مشيئته و من رواد هذه المدرسة :

Paul vidal la blache فيدال دي لابلاش

هو احد مؤسسي المدرسة الامكانية و الذي اقر بان البيئة انسانية و ليست طبيعة بحجة ان الانسان له القدرة على تعديل بيئته و تهيئاتها وفق لمتطلبات و احتياجاته ويؤكد ان على دراسة البيئة اساس تاريخي من خلال تحليل جهود الانسان في علاقته مع البيئة عبر التاريخ اي دراسة تطور البيئة من حالتها الطبيعة الى الحالى الانسانية .

Is.Boman واسحاق بومان Lucian febverلوسيان فيبفر

يذهب العلمان ان مظاهر البيئة كلها من صنع الانسان كالزراعة و الصناعة وغيرهما النها تعتمد على مقومات بشرية اكثر من مقومات بيئية وكذاك بالنسبة لتوزيع السكاني لاي مدبنة يعود بالدرجة الاولى الى العوامل الاجتماعية و ثقافية بشرية الى جانب بعض العوامل الطبيعية .

ولقذ نفى لوسيان وجود ضروريات في البيئة حيث يقول انه لا توجد سوى امكانيات و الانسان سيد الانكانيات هو الحكم في اختبارها,

:Probabilismeمدرسة التوافقية و الاحتمالية

جاءت هذه المدرسة للقيام بدور الوساطة بين كل من انصار الحتمية و الامكانية اذ تحاول ان توفق بين المدرستين حول الصراع القائم بينهما لذا سمية بالتوافقية و تقوم على فكرة ان كل من الانسان و البيئة له دور وتاثير نحو الاخر فليست هناك حتمية مطلقة ولا امكانية مسيطرة .

ومما سبق يتضح جليا تباين المدارس الفكرية في التفسيرات النظرية لعلاقة الانسان بالبيئة فالمدرسة الحتمية حاولت اخضاع كل شيء للبية الطبيعية و نفت ارادت الانسان و الدور الفعال الذي يقوم به لانه مختلف عن الكائنات الاخرى و تميز عنهم بنعمة العقل و له القدرة و امكانية اختيار من البيئة ما يتلاءم مه متطلباته واعتبرته مجرد مخلوق سلبي وغير مفكر .

اما المدرسة الامكانية على الرغم من انها جاءت مناهضة للفكر الحتمي واستنكرت غلو الحتميين و امتثال الانسان المطلق للبيئة الا انها بالغة هي كذلك عندما منحت له الانسان السيطرة طاغية على البيئة و التصرف بحرية مطلقة وجعلته هو السيد في حين انه يقف عاجزا امام بعض الظواهر الطبيعية و لايستطيع السيطرة عليها .

وبهذا تكون المدرسة التفاعلية او التوافقية هي الاقرب للواقع و المنطق لانها تقر بالعلاقة التفاعلية المتبادلة بين الانسان و البيئة وتاثير كل منهما في الاخر اي علاقة اخذ و عطاء فهو ياخذ منه ما يحتاج اليه من متطلبات حياته دون ان يضر بها او يخربها وفي المقابل يسعى لتطويرها و الحفاظ عليها ومعالجتها .

-تطور العلاقة بين الانسان و البيئة :

لقد مرت علاقة الانسان بالبيئة بعدت مراحل وهي :

أ-مرحلة الجمع و الاتقاط: اثناء هذه الفترة كان الانسان يبحث فقط عن الطعام وهذا امر لا يحتاج الى بذل جهد او مهارات عالية لانها هي البدايات الاولى التي احتك بها الانسان مع محيطة حيث كان يعتمد على حواسه في تعامله مع البيئة .

ب-الصيد القنص : هنا بدات معرفة الانسان تنمو واصبح استخدام عقله الذي يميزه عن غيره من الكائنات الاخرى و قد صحب ذلك تطوراته حضرية واجتماعية وتطورت معارفه العلمية و صنع ادوات لصيد كما اكتشفت النار لطهي اللحوم الحيوانات وعرف استخدامه .

ان تاثير الانسان في البيئة خلال هاتين المرحلتين الجمع و الالتقاط ومرحلة الصيد و القنص كان طفيفا وتعاظم بعد اكتشاف النار حيث كان تاثير تغيرات البيئية كالمناخ و الزلازل و البراكين اعظم من دور الانسان :

ت-مرحلة الزراعة و الرعي: (الاستقرار و استئناس حيوانات) خلال هذه المرحلة تحول الانسان من مستهلك الى منتج بدا بالاستقرار فمنذ ان عرف الزراعة توقف عن الترحال و بدا مع غيره من بني في تكوين المجتمعات الزراعية المستقرة وباشر في التفكير في تامين ذاته و حيواناته غذائيا وقد حدثة في هذه المرحلة تطورات عديدة اذ اخترع الات الحرث و الري و الحصاد و اخترعت اخرى تيسر تعامله مع البيئة و على اثرها صار قويا اي له السلطة في التحكم في بعض الظواهر ,

ث-مرحلة التصنيع : (الثورة الصناعية) تمتد من القرن الثامن العشر حتى الان لقد استطاع الانسان ان يحدث تغيرات بفضل وسائل و الات لم تعاهدها بشرية من قبل في المراحل السابقة و ذلك بالستثمار موارد بيئية هكذا تبدل الحال بعد ان كانت البيئة هي المسيطرة على سلوك الانسان اضحى هو مالك الزمان على الرغم ان يقف عاجزا امام بعض الكوارث الطبيعية كالزلازل و البراكين .... الخ كما شهدت هذه المرحلة زيادة عدد السكان نتيجة توفير وسائل العيش فارتفع معدل انشاء المدن وصاحب ذلك

سلوكات انسانية اثرت سلبا على البيئة نتجت عنها مشكلات بيئية كالتلوث و استخدام الموبيدات توسع المباني على حساب الاراضي .